الى الشباب

بين جوته وإيكرمان

للأديب نصرى عطا الله سوس

جينا — الثلاثاء ١٨ سبتمبر سنة ١٨٢٣

في صباح الأمس وقبل أن يعود جوته إلى (فيمار) حظيت مرة أخرى بسعادة الحديث معه ؛ وماقاله لى هذه المرة لا يُثمن بالنسبة لى؛ ويجب على جميع شعراء الشباب الألمان أن يلموا به بداء بسؤالى عما إذا كنت قد كتبت شعرا هذا الصيف ، فقلت كتبت بعض القصائد ولكن كان ينقصني على العموم المؤاتاه الضرورية، فقال جوته : حذار من محاولة كتابة موضوع كبير . إن هذا هو ما يضر بأكبر العقول عندنا حتى أولئك الذين يمتازون بأذهان وصدق وقوة . وذلك أدب الأدباء ، ما يكاد القارئ ينتهى منه إلى ما يريد حتى ينساه فلا يعود إليه ولا يذكره ، على مافيه من لذة ومتاع !

لم يكن الرافعى يكتب تلك الكتابة الصحافية السوقية التى تلتمس للهو وإزجاء الفراغ ؛ ولكنه كان يكتب ليضيف ثروة جديدة إلى اللغة ، وينشىء أدباً يسمو بضمير الأمة ، ويشرع طريقاً تسير فيه إلى عظمة الخلد ، وسعادة الأبدية ، ومجد التاريخ

الرافعي ! يرحمه الله ! لقد عاش فى خدمة العربية سبعاً وثلاثين سنة من عمره القصير ، وصل بها حاضرها الماثل بماضيها البعيد ؛ فهي على حساب الزمن سبع وثلاثون ، ولكنها على الحقيقة شطر من عمر الزمان ، وباب من الأدب ، وفصل فى تاريخ الاسلام

لقد عاش غريباً ومات غريباً ؛ فكأنما كان رجلا من التاريخ بُعث فى غير زمانه ليكون تاريخاً حياً ينطق بالعبرة ويجمع تجارب الأجيال ، يذكّر الأمة العربية الإسلامية بماضيها المجيد ؛ ثم عاد إلى التاريخ بعد ما بلّغ رسالته ... لقد خفت الصوت ، ولكنه خلّف صداه فى أذن كل عربى ، وفى قلب كل مسلم ، يدعوه إلى الجهاد لمجد العرب ، ولعز الإسلام .

« القدس » محمد سعيد العريان

حادة ومجهودات جدية ؛ ولقد عانيت شخصياً هذه العلة . وإنى لأعرف كم من أضرار أوقعت بى . وأى شيء لم أتركه يسقط فى البئر . ولو كتبت كل ما وددت أن أكتب ما كفانى مائة مجلد . يجب أن ينال الحاضر حقوقه . فالأفكار والاحساسات التى تجول فى نفس الشاعر يوماً بعد يوم يجب عليه أن يعبر عنها — ولكن إذا شغلت رأسك بموضوع كبير فلن تعيش أي فكرة أخرى بجواره . كل الأفكار ترفض وتصد ، حتى لذة الحياة نفسها تفقد وقتئذ . وأى مجهود عقلى تبذل كي تنظم وتلم شعث موضوع كبير ! وأى قوة وأية طمأنينة تحتاج حتى يتسنى لك التعبير عنه فى سلاسة لائقة ! وإذا خانك التوفيق فى أى جزء منه فكل مجهودك ضائع . وإذا عالجت موضوعاً كبيراً ولم تكن على معرفة تامة بكل تفاصيله فسيكون إنتاجك ضعيفاً وتستهدف للملام . فبدلا من المكافأة والسيادة جزاء على ما بذل من مجهود وتضحية لا يحظى الشاعر إلا بالانزعاج وشلل قواه العقلية . وهاك « أرنست هاجن » ذهن رائع ... هل قرأت كتابه « الفرد وليسنا » هناك نبذ بلغت الغاية من السمو ، نبذ فخمة ولكن الكتاب لا يرضى أحداً . وأى مجهود وقوة أنفقها الكاتب ! لقد أنهك نفسه ! إنه يكتب مأساة الآن » وهنا ابتسم جوته وسكت برهة فقلت : « إذا لم تخن الذاكرة ، فأنت قد نصحت هاجن بمعالجة الموضوعات القصيرة » فقال جوته : « حقاً ! لقد فعلت ، ولكن هل يتبع الناس نصائحنا نحن الشيوخ ؟ كل يظن أنه أدرى بنفسه من الآخرين . وهكذا يفشل البعض فشلا نهائياً بينما يشرد البعض الآخر فى مهامه الزلل لمدة طويلة — لقد كان الماضى زمن العثار... ماضينا نحن الشيوخ . وما فائدة أبحاثنا وأغلاطنا إذا سار الشباب فى الطريق نفسه من أوله مرة ثانية ؟ بهذه الطريقة لا يمكن أن نتقدم أبداً . لقد كابدنا أغلاطنا لأننا لم نجد طريقاً واضح المعالم نسير فيه؛ ولكن ذلك الذى يأتى أخيراً ليس فى حاجة لأن يبحث ويدل . بل يجب أن يتبع تعليمات الشيوخ كي يسير فى الطريق السوى من المبدأ. ولا يكفى مطلقاً أن تخطو خطوات قد تؤدى إلى غاية يوماً ما ، بل يجب أن تجعل كل خطوة غاية فى حد ذاتها »

« تأمل هذه الكلمات وتبصر كيف تعمل بها . إنى لست

قلقاً عليك ، ولـكن نصائحى ستساعدك على إنهاء مرحلة لا تلائم مركزك الحالى . فإذا ماعالجت الموضوعات الصغيرة ، وإذا ما كتبت ما يعرضه عليك « الحاضر » يوماً بعد يوم فستنتج جيداً . وكل يوم سيجلب لك سعادة جديدة . إبعث بما تكتبه إلى المجلات ولـكن لا ترضَ أبداً بكتابة ما يفرضه عليك الآخرين . إتبع وحى نفسك دائماً »

« إن فى الدنيا من العظمة والفن والحياة والتنوع بحيث لايمكنك أن تفتقد بواعث الشعر ؛ ولـكن الشعر يجب أن يكون له بواعث ... أعنى أن الحقيقة يجب أن تمد الشاعر بالدافع والمادة . إن الحادثة المعينة تصبح حادثة عالمية وشعرية إذا ما تناولها شاعر . كل قصائدى لها بواعث ، وقد دعت إليها الحياة الحقيقية ، ولها فى ذلك أسس ثابتة . أنا لا أعير أى اهتمام للشعر الذى ينتزع من الهواء »

« إن أحداً لن يقول إن الحقيقة تنقصها روح الشعر ، وهنا يثبت الشاعر مقدرته بتمكنه من فن تناول الموضوع العادى من وجهة نظر خاصة بحيث يصبح مهمًّا . الحقيقة يجب أن تمد الشاعر بالدافع إلى الموضوعات التى يود التعبير عنها . النواة ووظيفة الشاعر هى أن يخلق من هذه المواد وحدة جميلة حية . هل تعرف « فرنستين » ؟ إنه يدعى شاعر الطبيعة . لقد كتب أرق ما يمكن من القصيد عن زراعة حشيشة الدينار . لقد اقترحت عليه أن يؤلف أغانى على ألسنة أرباب المهن المختلفة ، خصوصاً النساج . وإنى لواثق من أنه سيجيد ، لأنه عاش بين هؤلاء منذ صباه . ولذا كان سيد مادته . تلك هى ميزة الموضوعات الصغيرة . كل ما عليك أن تختار ما تعرفه جيداً . ولـكن هذا لا يتأتى فى الموضوعات الصغيرة ، فى هذه الحالة لا يمكنك أن تتفادى أى جزء . وكل ما يتعلق بتوحيد مادة الموضوع وما يدخل ضمن عناصره يجب أن يصور بدقة ... وفى زمن الصبا ينظر الشباب إلى الأشياء من ناحية واحدة ؛ والموضوع الـكبير يتطلب إمكان النظر من نواحى عدة ... ومن هنا الفشل ! »

وأخبرت جوته أنى كنت أفكر فى كتابة قصيدة طويلة عن الفصول أضمنها الـكلام عن أعمال وملاهى الطبقات كلها فقال : « هذا فى قلب الموضوع . قد توفق فى بعض الأجزاء ، ولـكن قد تخفق فى البعض الآخر عند ما تكتب عما لم تبحثه أو تخبره جيداً ، وقد تكتب عن (السماك) جيدا ، ولـكن قد يخونك الحظ فى الـكتابة عن (الصياد) . وإذا أخفقت فى أى جزء فالنتيجة هى الفشل مهما أجدت فى بعض الأجزاء . وبذا تكون قد أنتجت إنتاجاً مبتوراً . اكتب كل جزء على حدة واقتصر على ما تعرفه . ومن المؤكد أنك ستنتج ما يرضى . وأحذرك خاصة من « الابتكارات » لأنها قد ترمى إلى التعبير عن فكرة خاصة عن العالم ، والشباب قلما يكون من النضج بحيث يوفق فى هذا . فضلاً عن أن الشخصيات والآراء التى يضمنها ابتكاراته تنفصل عن عقل الشاعر وتحرمه من «الامتلاء» اللازم لـكتاباته المستقبلة . وأخيراً ، كم من الزمن يفقدنى الابتكار والترتيب والتركيب . هذا ما لا يمدحنا أحد عليه ، حتى ولو كتبتا بنجاح . ولـكن فى حالة ما يعطى الشاعر المادة تكون الأمور أحسن وأسهل[1] . فإذا ما مُد الشاعر بالشخصيات والحقائق يكون عمله أن ينفخ الروح فيها فقط ، فيحتفظ بامتلائه ولا يفقد كثيراً من الزمن والجهود . إنى أنصح دائماً باختيار الموضوعات التى طرقت قبلاً . فكم من « أفيجينيا » كتبت ولـكن كلهن مختلفات . كل شاعر يتناول القصة حسب طريقته . عليك أن تترك التفكير فى الموضوعات الـكبيرة الآن . لقد آن لك أن تعيش ذلك الطور البهيج من الحياة ، ولأجل أن تصل إلى هذا فعالج الموضوعات الصغيرة ... »

.... وكنا نسير فى الغرفة جيئة وذهوبا ولم يسمع إلا النسيم شاعراً بصواب كل كلمة . ومع كل خطوة كنت أحس نفسى أسعد وأنشط . ويجب أن أعترف أن الخطط الـكبيرة واللاتى لم يمكنى أن أخلص الى فكرة واضحة بصددها لم تكن بالعبء الهين على

إنى لأشعر أن كلمات جوته زادتنى حكمةَ سنوات ، وعرفت ما فى مقابلة الأستاذ الحق من التوفيق والخير

نصرى عطا الله عطاس

(الرسالة) سألنا بعض القراء عن عنوان الـكاتب الأديب فنرجو أن يبعث به إلينا

---

(١) يقصد جوته الهيكل العظمى للموضوع كما فعل هو فى فاوست وكما فعل شكسبير فى أكثر ما أنتجه